

مفاهيم القرآن

(96) حفظهم من التذبذب والتراجع إلى الوراء . و هذا الحد من الكمال لم يكن حاصلًا في فترة قصيرة، و تشهد على ذلك الأحداث والوقائع التي كشفت عن تأصل الاخلاق الجاهلية في نفوسهم وعدم تغلغل الايمان في قلوبهم، حتى أننا نجد أن القرآن يشير إلى ذلك تعليقاً على ما حدث ووقع منهم في معركة أُحُد، إذ يقول سبحانه: (وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِنْ قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِنْ مَاتَ أَوْ قُتِلَ انْزُلْنَا إِلَيْكُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ) وَمَنْ يَنْزُقْلَيْبٍ عَلَى عَقْبَيْيْهِ فَلَنْ يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ) . (1) ويقول أيضاً: (وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنْزُلْنَا لَهُمُ الْكِتَابَ فَكَانُوا عَلَيْهِ يَوْمَئِذٍ وَاهِينَ) (2) وربما يتصور أن هذه النكسات تختص بالسنين الأولى من الهجرة، ولا تختص بالسنين التي أعقبت وفاة النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - لانتشار الاسلام في الجزيرة العربية واعتناق خلق كثير منهم الاسلام، ولكن التاريخ يرد تلك المزعة ويثبت عدم بلوغهم الذروة في أمر القيادة بحيث تغنيهم عن نصب قائد محذك من جانبه سبحانه. وهذه هي غزوة "حنين" التي غزاها النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وآله و سلم - في السنة الثامنة، وقد أُصيب المسلمون بهزيمة نكراء تركوا النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وآله و سلم - في ساحة الوغى ولم ينصره سوى عدد قليل، فلمَّا رأى النبي - صلى الله عليه وآله وسلم - وآله و سلم - تفريق المسلمين حينها قارعهم بصوت عال، وقال: "أيها الناس هلمَّوا إليَّ أنا رسول الله"، إلى غير ذلك من الكلمات التي علّمها لعمّاه العباس حتى يُجهر بها، وقد نقل القرآن الكريم إجمال تلك الهزيمة، وقال: (لَقَدْ نَصَرَكُمُ اللَّهُ فِي بَيْتِ الْمُؤَدَّةِ أَلَمَنْ لَبِثَ لَكُمْ نَجْدًا وَلَقَدْ نَفَخْنَا بِالْقُرْآنِ نَفَسًا فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّخَذْتُمْ عَلَيْهِ ثِجَارًا فَتَلْوَحُوا فِي هِيَاطِهِمْ لَقَدْ عَجَبْنَا إِلَى الْمُؤْمِنِينَ فِي مَا فَعَلُوا وَكَانُوا يَكْفُرُونَ) (3) .